هل كتب التنوخي كتاباً في التاريخ

الدكتور قاسم السامرائي

لقد عرفنا التنوخي أبا علي المحسّن بن علي التنوخي القاضي (٣٨٤ هـ) من كتابه النشوار الذي وصل إلينا مبتوراً ومن كتابيه : الفرج بعد الشدّة والمستجاد من فعلات الأجواد ، وعرفنا ابنه أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي (٤٤٧ هـ) من رواياته الكثيرة المبعثرة في تاريخ بغداد والمنتظم وغيرهما ، وعرفنا أن التنوخي الأب قد صنف كتاباً آخر هو كتاب عنوان الحكمة والبيان الذي لم يزل ينتظر من ينشره[١] ، عرفنا ذلك كلّه من المقالات الكثيرة والكتب القليلة التي صنفت بالعربية وغير العربية عن النشوار أو الفرج وصاحبها وما فيها[٢] ، بيد أن أحداً من هؤلاء أو من أصحاب كتب التراجم لم يذكر أن أحد التنوخيين قد صنف كتاباً في التاريخ. والسؤال الآن :هل صنف التنوخي الأب أو الابن كتاباً في التاريخ ؟

في سنة ١٩٥٨ اشترت مؤسسة بريل للنشر في لايدن مجموعة المستشرق الفرنسي هنري باسيه (المتوفى سنة ١٩٢٦) المخطوطة والمطبوعة ، وقد غفت المجموعة الخطية في قبو المؤسسة حتى سنة ١٩٧٣ حين عرض قسم منها للبيع فاشترتها مكتبة جامعة لايدن ، وأضافتها إلى مالديها من مخطوطات عربية وغير عربية . وتحتوي هذه المجموعة على أربعة وخمسين مخطوطاً[٣] أكثرها عن تاريخ شمال إفريقية العربي الإسلامي مثل : أربع نسخ من كتاب فتوح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إفريقية للواقدي ، وهي تختلف اختلافاً بيّناً مع ما نشر من هذه الفتوح ، وكتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا الورجلاني (٤٧١ هـ) وهو تاريخ الإباضية في شمال إفريقية ، ومع أن هذا الكتاب قد ترجمه مسكوري إلى الفرنسية في سنة ١٨٧٨ م ونشر في الجزائر فإن أهمية هذا الكتاب تقع في أنه لم ينشر بالعربية بعد ، وإن ترجمة مسكوري اعتمدت على نسخة ناقصة من الكتاب استنسخت له من نسخة قديمة كانت في مزاب ، وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب لابن أبي زرع الفاسي (بعد ٧٢٦ هـ) ويبدو أن هنري باسيه كان قد أعدّ ترجمة فرنسية وتحقيقاً للنص العربي مع تعليقاته على النصّ إلاّ أن تحقيق باسيه لم يصلنا كاملاً ، وما وصلنا منه محفوظ الآن مع المخطوط ، وكتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أبي راس بن أحمد بن عبد القادر الناصري (١٢٣٨ هـ) وهو شرح لقصيدته عن سقوط مدينة وهران .

وفي هذه المجموعة كتاب في تاريخ الدولة العباسية ويحمل العنوان « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم » . ومن هذا الكتاب نسخة أخرى ناقصة (تنتهي عند خلافة المأمون العباسي) في الجزائر برقم ١٥٨٧ ، باسم « تاريخ العباسة » .

أول المخطوط : « قال أكثم بن صيفي : حججت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة ، وكأن عمائمهم ألوية ، وكأن العباس من بينهم طلعة البدر . . . »

تقع مخطوطة لايدن من هذا التاريخ في ١٦٠ ورقة من القطع الكبير ٢٢ × ٣٠ سم وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطراً وكتبت بخط مغربي حديث واضح ، إلا أن النص كثير التحريف والتصحيف ومؤرخ في « اثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين وألف » . والتشابه واضح بين نسخة الجزائر ونسخة لايدن لتشابه التصحيفات ومواقع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البياض فيها ، إلا أن ناسخ نسخة الجزائر كان أكثر دقة وعلماً من رفيقه محمد ابن عمر الجزيري ناسخ نسخة لايدن . ويبدو أيضاً أن النسختين قد استنسختا من نسخة مشتركة بينهما ، لم تصلنا بعد ، ولعلها لم تزل في مكان ما من شمال إفريقية .

تبدأ النسخة في سرد فضائل العباس وولده عبد الله وما قيل فيها ، أورد مصنف هذا التاريخ كل ذلك ليثبت أحقيّة وأهليّة بني العباس للإمامة دون ولد أبي طالب ، ويظهر التشابه واضحاً هنا بين روايات النص وبين النص الذي نشره أستاذنا الفاضل الدكتور عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، باسم « أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده » فلعلّ مصنفيها اعتمدا على كتاب « فضائل العباس » حين كان الخلفاء العباسيون يعنون به عناية زائدة لصلته بهم وتأكيده على إمامتهم [تاريخ بغداد ٨/٣٧٩] .

يتحدث المصنف عن الدعوة العباسية وظهورها وما لابس هذه الدعوة من حروب طويلة ذكرها أصحاب التواريخ والتي انتهت بإعلان الخلافة العباسية ، ومن ثم اندحار مروان بن محمد الأموي ومقتله ، ثم يتناول الخلفاء العباسيين واحداً واحداً ويورد أخبارهم ولُمَعاً من الحكايات التي تتصل بكل واحد منهم حتى ينتهي بمقتل المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ هـ على ماهو معروف عند المؤرخين فيقول : « . . . ورثاه في الوقت الأمير أبو العباس الراضي ولده حيث يقول :

بنفسي ثرًى ضاجعتَ في ساحة البلى لقدضمَّ منك الليثَ والغيثَ والبدرا

وليكن هذا آخر ما بلغنا من أخبارهم والله سبحانه وتعالى أعلم . . . . »

يعوّل المصنف على كثير من كتب التاريخ والأدب المعروفة منها والمفقودة ، فمنها ما يذكرها صراحة مثل كتاب الوزراء للجهشياري ، وكتاب السّمار والندامى لابن جمهور العمّي ، أو يورد أقوال مصنفي الكتب مثل : قال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو الفرج الأصفهاني ، أو قال أبو الحسين المسعودي ، أو قال المسعودي ، أو قال المدائني ، أو قال علي بن محمد المدائني . ولما كان المسعودي ينقل أقوال المدائني فقد نقل المصنف كثيراً من هذه الأقوال أو الأخبار دون نسبة . ومن مقارنة النص مع التواريخ الموجودة بأيدينا ظهر لنا أنه نقل من المصادر الآتية :

١ - مروج الذهب للمسعودي
٢ - تاريخ اليعقوبي
٣ - تاريخ المدائني (رواياته أوردها المسعودي)
٤ - كتاب الوزراء للجهشياري
٦ - كتاب الأوراق أو كتاب الوزراء للصولي

وقد ظهر أنه نقل من مروج الذهب في أكثر من ١١٢ موضعاً ، وذكر اسم الصولي صراحة في ١٨ موضعاً ويبدو أنه نقل من كتاب الصولي حرفياً من أول خلافة المعتمد حتى نهاية خلافة المقتدر . وذكر اسم ابن واضح [اليعقوبي] ثلاث مرات ، وذكر كتاب السمار والندامى لابن جمهور مرة واحدة ، وذكر كتاب الجهشياري مرة واحدة ونقل منه في أكثر من ١٨ موضعاً (ولما كان كتاب الجهشياري ناقصاً فإن بعض النصوص في المخطوط تكمل كتاب الجهشياري مثل خبر خدابوذ المجوسي الذي كان الفضل ابن سهل ينزل عليه إذا دخل مدينة السلام أثناء خموله ، فهو أكمل هنا وناقص في كتاب الجهشياري (٣١٨ - ٣٢٠) وورد هذا الخبر بالنص في كتاب الفرج بعد الشدة (مخطوط لايدن ٢٩٦ - ٢٩٩) ، ولم يرد في النسخة المطبوعة (سنة ١٩٥٥ بالقاهرة) .

أما المصادر التي لم يذكرها صراحة ونرجح أنه عوّل عليها لوجود التشابه الحرفي بينها وبين ما أورد فهي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ كتاب الأغاني لأنه أورد بعض النصوص مصدرة بـ : قال أبو الفرج الأصبهاني . وأكثر هذه النصوص وردت إما في الأغاني ، أو كتاب المستجاد ، أو الفرج بعد الشدة ، وكلاهما للتنوخي .

٢ ـ كتاب الكامل للمبرّد في أكثر من سبعة مواضع

٣ ـ كتاب بغداد لابن طيفور في أكثر من أربعة مواضع

٤ ـ كتاب الفرج بعد الشدة (المطبوع والمخطوط لأن بعض الحكايات التي وردت في المطبوع لم ترد في المخطوط ، وكثير مما ورد في المخطوط لم يرد في المطبوع) نقل منه في ١٧ موضعاً .

٥ ـ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، نقل منه في ٢٨ موضعاً نقلاً حرفياً .

ولما كان المخطوط خالياً من المقدمة واسم الكتاب والمصنف فإننا لانشك أن هناك جزءاً سبق هذا وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ في الحديث عن عبد الحميد الكاتب وأنه حين جيء به إلى المنصور قال له : « استبقني ياأمير المؤمنين ، فإنني كاتب مجيد فاستبقاه ووصله ،وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، وهو أول من طوّل الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستقفى الناس أثره ، **وقد ذكرت من بعض فصوله في مامضى من هذا الكتاب . . .**»(ورقة ٣٧ ب وورقة ٥٩ أ من نسخة الجزائر) .

٢ ـ في الحديث عن أن كل سادس من الخلفاء يُخلع ويُقتل : « ... وآخرهم عبد الله بن الزبير فخُلع ابن الزبير وقتل ـ رحمة الله عليه ـ **وهو الذي ذكرت أنه لم يستنّ كاستنان ما قبله ولا ما بعده . . .** (ورقة ١٥٢ ب) . أي أن ابن الزبير ـ رحمه الله ـ لم يسر مسيرة من جاء قبله أو بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ورد في نهاية المخطوط نصٌّ يوحي أنَّ هناك جزءاً ثالثاً وبه يكمل الكتاب ، فقد ورد في حديثه ء ن كل سادس من الخلفاء : قلت : وكان سادس من ولي بعد المقتدر الطائع لله وهو المسترشد بالله خلع وقتل . فالظاهر في هذا النص أن : [وهو المسترشد] مقحمة هنا فلعلها كانت في حاشية النسخة التي استنسخت هذه منها فأدرجها الناسخ جهلاً وغفلة ، وذلك لأن المسترشد بالله لم يخلع ، وإنما اغتيل وهو أسير عند السلطان السلجوقي مسعود في سنة ٥٢٩هـ وذكرُ ذلك مستوفىً في كتب التاريخ ، ومن ثم فإن الطائع لله غير المسترشد بالله ، وقد خلع الطائع لله سنة ٣٨١هـ خلعه بهاء الدولة أبو نصر خسروفيروز بن عضد الدولة السلجوقي ، ومكث الطائع لله بعد خلعه مستظهراً عليه بدار الخلافة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ ولم يقتل على كثير من الروايات ، (مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٩٥ ، تاريخ ابن العمراني ١٨٢ وغيرهما) . فإذا كان النص صحيحاً فإن مصنف الكتاب كان حيّاً سنة ٣٩٣هـ ، وتوفي بعد هذا التاريخ ، وهذا يتنافى مع الأدلة التي سوف نتعرض لها حين نحاول أن نثبت نسبة هذا التاريخ لأبي علي المحسّن التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤هـ ، إلا إذا اعتبرنا الجملة : قلت . . . خُلع وقتل ، إلى آخرها مقحمةً وليست من أصل النص ، ومثل هذا كثير الحدوث ويعرفه دارسو المخطوطات . أما إذا كانت الجملة غير مقحمة فتعني أن هناك جزءاً ثالثاً يحوي تراجم الخلفاء بعد مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ وإلى ما بعد سنة ٣٩٣هـ وأن وفاة المصنف كانت بعد إنجازه الكتاب .

أما عن عبدالحميد الكاتب فقد اختلفت الروايات في مصيره والمشهور أنه قتل مع مروان ، أو جيء به إلى السفاح أو إلى المنصور ، وأورد ابن خلكان حكاية عبدالحميد الكاتب وسلام الحادي والبلبكي المؤذن ، مع المنصور ، حيث استبقى البلبكي والحادي وأمر بقتل عبد الحميد الكاتب :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين . قال : وما بلغ من كتابتك ؟ قال : أنا أبلَغ أهل زماني في الكتابة . فقال له المنصور : أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي ! فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضرب عنقه . وقال ابن خلكان : والله أعلم أيّ ذلك كان . والحكاية التي أوردها ابن خلكان منقولة عن محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره (٤) وردت بالنص في المخطوط إلاّ في مصير عبد الحميد الكاتب الذي ذكرناه .

لقد ذكرنا أن مصنف هذا التاريخ قد نقل من كتاب المستجاد في ٢٨ موضعاً ، ومن كتاب الفرج بعد الشدّة في ١٧ موضعاً ، وأن بعض هذه الأخبار مشتركة بين الكتب الثلاثة في الإسناد أو الرواية الحرفية للنص ، فمثلا : قصة إبراهيم بن المهدي واستتاره من المأمون ، فقد وردت في المستجاد صفحة ٧٤ بالإسناد : قال أبو الفرج الأصفهاني : أخبرني أحمد بن محمد البزّاز الأطروش قال : حدثنا أبو مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال الواقدي : كان إبراهيم قد ادّعى الخلافة لنفسه بالريّ وأقام مالكها سنةً وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الريّ وطلبني أشدّ طلب . . . وقد وردت هذه الحكاية الطويلة بالنص الحرفي في مخطوط التاريخ ورقة ٨٦ أ — ٨٩ ب إلاّ أن مصنفه اكتفى من الإسناد السابق بقوله : قال الواقدي ، كما في نشرة باولي من المستجاد (صفحة ٥٨) ، وقد ورد قسم كبير من الحكاية في مخطوطة الفرج (٣٦٦ — ٣٦٩ ، مخطوطة لايدن رقمها ٦١ شرقي ومؤرخة في ٨٩٠هـ ومرقمة حسب الصفحات) ولم ترد في النسخة المطبوعة من الفرج بعد الشدة (القاهرة ١٩٥٥) . ومن إشارات محمد كردعلي في المستجاد يبدو أنها وردت في النسخة من الفرج التي اعتمد عليها في تحقيقه كتاب المستجاد (صفحة ٧٧) . لقد حوى كتاب الفرج المطبوع سنة ١٩٥٥ قصتي استتار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلٍّ من الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي من المأمون والحوادث التي مرت بكل واحد منها ، غير أن هذه الحوادث قد تشابكت في قصة اختفاء واستتار الفضل بن الربيع مع قصة استتار إبراهيم بن المهدي في النسخة المطبوعة من كتاب الفرج ، بينما رويت القصتان منفصلتين وبإسهاب في المخطوط من التاريخ ، إلا أن الحجّام الذي آوى إبراهيم بن المهدي في المستجاد ومخطوط التاريخ صار مُزيّناً في كتاب الفرج ، وأن هذا المزين آوى الفضل بن الربيع (صفحة ٣٥٦ — ٣٥٩) . أما القسم الذي يروي غناء الحجام لإبراهيم وغناء إبراهيم له والأبيات التي غنّوا بها فلم يرد في مخطوطة الفرج ولا في المطبوع سنة ١٩٥٥ ، وإن رواية الفرج تشبه رواية المسعودي (مروج ٦٣/٧ — ٧٢) حيث لم يذكر حكاية الجندي الذي رام القبض على إبراهيم بن المهدي فدفعه فزلق الجندي ، وعندها تمكن من الهرب واللجوء إلى دار تعود للجندي فآوته امرأة الجندي ثلاثة أيام ، ثم خرج منها إلى مولاة له أسلمته لإسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب شرطة المأمون . والغريب في الأمر أن اسم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ورد : إبراهيم الموصلي في كل من المستجاد (صفحة ٨١ ونشرة باولي ٦٥) ومخطوط التاريخ (ورقة ٨٧ ب) . أما في المطبوع من كتاب الفرج (صفحة ٣٥٨) فقد ورد في حكاية الفضل بن الربيع : فما شعرت إلا وإسحاق نفسه في خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً . . . .

وفي المستجاد (صفحة ٨١) : فما شعرت إلا بإبراهيم بنفسه في خيله ورجله وحفله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عياناً . . . ومثل هذا في مخطوط التاريخ . فما تعليل هذا الخطأ التاريخي المشترك بين مخطوط التاريخ وكتاب المستجاد ؟ والجواب أن أحدهما نقل من الآخر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فتواتر الخطأ . والظاهر أن مصنف المستجاد قد نقل من كتاب التاريخ هذا دون تصحيح الخطأ لتعويله على أمانة مصنف الكتاب واطمئنانه لكل ما أورد .

قلنا إن مصنف هذا التاريخ قد عوّل على كثير من كتب التاريخ والأدب ولو تتبعنا وَفَيات مصنفي هذه الكتب فإننا لا نجد أيّاً منهم كان حيّاً بعد التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، وإننا لا نجد في الكتاب أية إشارة توحي أن هذا الكتاب كتب بعد وفاة التنوخي ، وهناك بعض الأدلة التي وردت في الكتاب تؤكد أصالته للتنوخي وهي :

١ ـ دليل الرواية

٢ ـ تشابه روايات كتاب التاريخ مع روايات الفرج والمستجاد .

٣ ـ أن التنوخي لم يكن معتزلياً

١ ـ دليل الرواية :

في الورقة ٦٩ب ، روى حكاية جعفر البرمكي حين أراد شراء جارية في البصرة فقد رويت بالنص الحرفي في كتاب الفرج بعد الشدة .

في المطبوع من الفرج ٣٩٣/٢ جاء الإسناد : حدثني أبو الفرج علي ابن الحسين المعروف بالأصبهاني إملاءً من حفظه قال : حدثني الحسن بن يحيى الرقاشي قال : حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي المخطوط من الفرج ٥٢٠ جاء الإسناد : وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني أبي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي مخطوط التاريخ جاء الإسناد : قال إبراهيم الموصلي : لما دخل الرشيد ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي نهاية الخبر في ورقة ٧١أ جاء : ذكر أبو علي محمد بن الحسين ابن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب السمار والندامى « فزعم أن الرشيد لما حجّ معه إبراهيم الموصلي وساق الخبر عن قريب مما ذكرناه . . » فقد ورد بالنص الحرفي في كتاب الفرج المطبوع ٣٩٦ ، ننقله مع تصحيفاته وتحريفاته : « ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب (السمّار والندماء) فزعم أن الرشيد لما حجّ كان معه إبراهيم الموصلي ، واقتصّ الخبر على قريب مما ذكرناه » .

وفي المخطوطة من الفرج ٥٢٥ « وقد ذكر في هذا الخبر زيادة من وجه آخر ذكره أبو علي في كتاب السمّار والندماء وأن الجارية غنت بصوت إبراهيم ... » . وأبو علي هذا هو محمد بن الحسن أو الحسين بن جمهور العمي شيخ المحسّن التنوخي الذي قال فيه : « كان محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثيرَ الملازمة لأبي ، وحرّر خطي لما قويتُ على الكتابة لأنه كان جيد الخط ، حسن الترسل ، كثير المصنفات لكتب الأدب ، فكثرت ملازمتي له » (معجم الأدباء ٤٩٨/٦) . وقال عنه في النشوار « حدثنا أبو علي محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة (إشارة إلى جاريته المغنية زادمهر) المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب » (٢٥٨/٣ نشرة الشالجي) .

وعن ابن جمهور هذا قال الشابشتي المتوفّى سنة ٣٨٨ هـ في كتاب الديارات : « كان أبوه من رواة أهل البيت صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم ، وكان أبو علي ظريفاً متأدباً مليح الشعر والكتابة ، وقد سافر في طلب العلم وتطرّح في مواطن اللعب ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحانات والديارات ، ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها وصارت له نعمة كثيرة » . (صفحة ١٧٢ نشر كوركيس عواد – بغداد ١٩٥١) . وذكره ابن النديم في فهرسته (صفحة ٢٢٣) فقال : « بصريّ ، ويعدّ من خاصة أصحاب الرضا عليه السلام ... وقد روى كتاب الأمل والرجاء لابن يقطين الشيعي ، وهذا الكتاب يذكر فيه أشياء مما يرجو الشيعة من فضائلهم ومنزلتهم . » ، وقد عدّه أصحاب الرجال من الشيعة من رجالهم ، كرجال النجاشي ٤٩٨/٦ ، ومنهج المقال في أحوال الرجال لمحمد بن إسماعيل ص ٣٥٧ ، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني ١٠٠/٣ - ١٠١ . ولعلّ هذا الظرف وما تبعه من ملاحة في الأدب والشعر هو الذي قرّب بينه وبين والد المحسّن ، فكثرت ملازمته له ، لما كان يجمعهما من الظرف وحسن المنادمة وطيب العشرة ، على تباين مشربيهما ، فالتنوخي كما وصفه بعض المؤرخين كان حنفياً معتزلياً ، وابن جمهور كان شيعياً ، ولعل اتصال والد المحسن ، ومن ثم المحسن نفسه ، بابن جمهور هذا ، ورواية كتاب قضاة بغداد عن طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد المعتزلي الذي كان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه ، حدا ببعض أصحاب التراجم أن يصفوا ابنه أبا القاسم علياً بالرفض والاعتزال معاً [٥] ، ولاندري كيف يكون معتزلياً ، وقد روى نفسه ما يسيء إلى ابن أبي دؤاد وهو رأس من رؤوس الاعتزال . فقد روى الخطيب [٦] : « أخبرني علي بن المحسن التنوخي ... قال أنشدني أبو الحجاج الأعرابي :

نكست الدين يا بن أبي دؤادٍ فأصبح من أطاعك في ارتدادِ
زعمتَ كلام ربك كان خَلْقاً أما لك عند ربك من معادِ »

ولعل قولَ أبي الفضل بن خَيْرون : قيل كان رأيه الرفض والاعتزال . وقولَ شجاع الذهلي : إنه كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال على ما روى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن حجر العسقلاني[٧] ـ مردّه إلى الحكاية التي رواها ابن الجوزي ، (المنتظم ١٤١/٨ - ١٤٢) : « وفي يوم عيد الفطر ثارت الفتنة بين أهل الكرخ [من الشيعة] وأهل القلائين [من السنة] فاشتدت ووقع بينها جرحٌ وقتلٌ ... وانتهى إلى الخليفة أن القضاة أبا الحسن السمناني ، وأبا الحسن البيضاوي ، وأبا علي الدامغاني ، وابن الواثق وابن المحسن الوكيلين ، حضروا عند القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وجرى ذكر أهل الكرخ وما عملوا فقال التنوخي : هذه طائفة نشأت على سبّ الصحابة وما مُنعت منه إلا جَدّت به ، ولا كان لدار الخلافة أمرٌ عليها ، فما تحاول الآن منها ؟ ... » وهنا تعريض واضح بالخليفة وضعفه ، وقد نقل قوله هذا للخليفة فأمر قاضي القضاة بالتوقف عن قبول شهادته وملازمة بيته لأنه قال صدقاً وأبان حقيقةً وكان هذا كافياً لأن يوصم بالرفض .

وقد نقل قول ابن الجوزي الذي قال فيه : « وكان محتاطاً صدوقاً إلا أنه كان معتزلياً ويميل إلى الرفض » (المنتظم ١٦٨/٨) كلٌّ من جاء بعده ، مع أن تلميذه الخطيب البغدادي لم يذكر ذلك عنه على أن ديدنه ذكر مذاهب الرجال .

ومن دليل الرواية ماورد في ورقة ٩١ أ من مخطوط التاريخ : [حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال : حدثني ابن أبي حسان الزيادي [قال : حدثني أبي عن أبيه] قال : ضقت ضيقة شديدة ...

وحدثني هذا الحديث أيضاً أبو الفرج جعفر بن محمد ولد صاحب المصلّى قال : حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثاً ببغداد مشهوراً ثقة قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليتُ القضاءَ من قبل أبي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شديدة . . وذكر الحديث على نحوماذكر ، قال أبو الفرج في حديثه : فلما بلغ بي حماري مربعة الخُرْسي استقبلني موكب فيه مهرجان والنفاطات قد أضاءت الطرق . . . فإذا رجل من الموكب يقول لي : أبو حسان والله ، وتأملت فإذا هو دينار بن عبد الله . . . وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في أخبار دينار أنه لقي أبا حسان في الطريق . . .

وحدثني أبي بهذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره وأنسيتُه أنا عن أبي حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر . . .]

هذه الحكاية وردت بالنص الكامل مع الإسناد في الفرج بعد الشدّة ١٦٠ إلاّ أنه روى بداية الحكاية عن القاضي أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي فيما أجاز له « لي روايته عنه بعد ما سمعته منه »، ثم قال : ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد ، قالوا : حدثنا أبو حسان . . . إلى أن قال : « وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو القاسم بن أبي حسان . . . وذكر الحديث على نحو ماذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الخُرْسي . . . وحدثني أبي هذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ماذكره محمد بن جعفر . . . »

إن قوله : « على نحو ماذكره طلحة » يدلّ أن الحديث كان حديث طلحة ، وأن اسم طلحة سقط من الإسناد الذي جاء كاملاً في مخطوط التاريخ . وأن رواية المحسّن التنوخي عن طلحة هذه ليست فريدة ، فقد روى عنه مرة أخرى في الفرج فقال : « حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد » (١/١٩٣) ، غير أن ابنه أبا القاسم كان أكثر حديثاً عن طلحة منه . ولعله هو الشاهد الذي طلب من التنوخي أن لا يذكر اسمه حين روى في النشوار خبر خلع المطيع لله نفسَه من الخلافة (٣/٢٠٦ الشالجي) فقال : « وأخبرني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شاهد من الشهود المقبولين ببغداد ، وسألني أن لا أذكر اسمه » ، فقد ورد اسمه مع الشهود الأربعة في تاريخ ابن الكازروني (صفحة ١٨٩ - ١٩٠) وخلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي الذي نقل رواية ابن الكازروني دون نسبتها له (٢٥٨) . وقد فعل مثل هذا كثيراً . وطلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ولد سنة ٢٩١ هـ وتوفي سنة ٣٨٠ على ماروى الخطيب البغدادي وأنه كان المتقدم في وقته على الشهود ويذهب مذهب الاعتزال (٣٥١/٩) .

أما أبو الفرج محمد بن جعفر ولد صاحب المصلّى فقد ولد سنة ٢٩٦هـ وتوفي ٣٧٤ هـ (تاريخ بغداد ١٥٤/٢ - ١٥٦) وقد رآه المحسّن التنوخي وحدثه وحدث ابنه أبا القاسم أيضاً ، قال الخطيب البغدادي : « أخبرنا التنوخي (أبو القاسم علي بن المحسن) قال : سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح صاحب المصلّى وسأله أبي عن سبب تسمية جدّه بصاحب المصلى فقال . . . » (٤٣٨/١١)

وأما أبو القاسم بن أبي حسان الزيادي فهو عمر بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن حسان بن عبد الرحمن بن يزداد ، قال عنه الخطيب : « كان ثقة وتوفي سنة ٣١٤ هـ » (٢٢٤/١١) .

إن حكاية أبي حسان الزيادي لم ترد في مخطوط التاريخ والفرج بعد الشدة فحسب ، بل إن قسماً منها ورد في النشوار الذي وصلنا أيضاً . قال المحسن التنوخي : « حدثني أبي بإسناد ذكره أن أبا حسان الزيادي كان من وجوه فقهاء أصحابنا ومن غلمان أبي يوسف ، وكان من أصحاب الحديث وكان قد تقلد القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتي ويدرس الفقه ويؤمّ ويحدث ، وإضاقته كلّ يوم تزداد . . . » (٢٢٣/١ - تحقيق مارجليوث) ثم روى الحكاية كما وردت في كلٍّ من الفرج بعد الشدّة ومخطوط التاريخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ـ تشابه روايات المخطوط مع كلٍّ من الفرج والمستجاد :

وإليك بعض الأمثلة من هذا التشابه :

١ ـ بلغ إسراف خالد في المال فعزله وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم . . .

مخطوط التاريخ ورقة ٣٨ب ، الفرج ٢/٢٨٧ ، وأوردها ياقوت في إرشاده ٦/٨ والجهشياري في كتاب الوزراء ١٩٧ وقالوا : إن المهدي ألزم يحيى بن خالد ألف ألف درهم . . .

٢ ـ حكاية المهدي حين انتبه ليلًا وطلب من صاحب شرطته أن يطلق علوياً في السجن بسبب رؤيا رآها .

مخطوط التاريخ ورقة ٥٣ أ ، الفرج ١/١٦٥ ، وروى المسعودي هذه الحكاية وأنها حدثت للرشيد حين أطلق موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ (مروج الذهب ٦/٣٠٦ ـ ٣١١) .

٣ ـ حكاية الزنادقة الذين حملوا المأمون من البصرة وانضمام طفيلي لهم وتدخل إبراهيم بن المهدي لإنقاذه حين روى للمأمون حكايته إذ تطفل وما جرى له .

مخطوط التاريخ ورقة ٨٤ أ ، المستجاد ٥٣ ـ ٦٣ ، فقد رويت في كليهما عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم ، وأوردها المسعودي عن ثمامة بن أشرس (٧/١٢ ـ ٢٥) .

ومثل هذا التشابه يصحّ على كثير من الروايات المشتركة بين كتاب التاريخ والفرج والمستجاد ، مثل حكاية عمرو بن مسعدة مع الصيرفي البغدادي فروى التنوخي في الفرج (صفحة ٢٤٤) قصة الكاتب المتعطل ثم أردفها بقوله : « قال مؤلف هذا الكتاب : بلغني لعمرو بن مسعدة في زلاله خلاف حدثني به عبد الله بن الحسن العبسي وهو يذكر . . . ان عمرو بن مسعدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان مصعداً من واسط إلى بغداد . . . » فقد رويت قصة الصيرفي البغدادي حرفياً في كتاب التاريخ إلا أن مصنفه أو لعل ناسخه اكتفى بـ : « حدّث عبيد الله بن محمد بن الحسن الحنفي العبسي قال . . . » بدلا من : « حدثني . . . » (ورقة ٩٥ ب) .

٣ ـ هل كان المحسن التنوخي معتزليا ؟

لقد ذكر مارجليوث وتبعه كلُّ مَنْ كتب عن التنوخي أنه كان معتزليا لأنه أورد في النشوار حكايات عن المعتزلة أو عن صبيانهم وأسندها إلى جماعة من أصحابه مما يدل على قبوله لها ، وان أثر الاعتزال واضح في كتب التنوخي حيث أورد أخبار بعض المعتزلة وبعض قصصهم التي تظهر فيها المبالغات والتي لا يتقبلها سوى صاحب الميل كقوله : « سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن » . ذكر هذا كلّه بدوى محمد فهد في كتابه : القاضي التنوخي و كتاب النشوار (بغداد ١٩٦٦ ، صفحة ٢٣) ولكي يُعين قوله هذا بحجة فقد أحال على كتاب الفرج (صفحة ٣٤٦) والنشوار (١/٢٧٠) ، ولما تصفحنا الفرج وجدنا التنوخي يروي قصة العتابي منقولة من كتاب الوزراء للجهشياري : « ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني . . . حدثني يموت بن المُزَرِّع قال : كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد(٨) . . . » فيا عجبي ! كيف نصف المحسن التنوخي بالاعتزال لأنه أورد أخبار بعض المعتزلة ولا نصفه بالزندقة لأنه أورد حكايات بعض المجوس والزنادقة ؟ ولو يصحّ مثل هذا القياس لتغيرت معالم العلماء ونِحَل المصنفين . والتنوخي نفسه روى في حكاية إبراهيم بن عبد الله الهبيري الذي كان يلتمس تصرفاً من الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال : « وكان ابن الزيات يرى رأي المعتزلة ويقول إن الأرزاق بالاكتساب » مع أن مدلول القصة يعني أن الرزق بالتقدير الإلهي وليس اكتساباً لأن الهبيري أخذ رزقه رغم أنف الزيات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(مخطوطة الفرج ٣٤٠ - ٣٤١ ، ولم ترد في المطبوعة[٩]). فلو كان الرجل معتزلياً لأعرض عن مثل هذا القدح في رأي يراه مع أن أحداً من أصحاب التراجم لم يصمه بالاعتزال كما وصموا أباه أو ابنه ، ولعل السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ كان أول من قال في أبيه : « وكان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة ، ويعرف النجوم وأحكامها معرفة ثاقبة » (ورقة ١١٠ب) فحرّف ابن الأثير هذا القول فقال عنه : « وكان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم» (الكامل ٨/٣٨٠) . وشتان ما بين الكلامين ، ولكنهما يتفقان مع غيرهما من أصحاب التراجم في أن والد المحسن كان فقيهاً حنفياً . وقول السمعاني إنه كان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة وقول ابن الأثير : إنه كان عالماً بأصول المعتزلة ، لا يجعلان منه معتزلياً ، بله ابنه المحسّن الذي قال فيه ابن الأثير : « وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه » (الكامل ٩/١١) . ولكن ابن الأثير لم يُعد كلامه هذا في سنة وفاة التنوخي واكتفى بقوله : « وكان فاضلاً » (٩/٧٤) ، والأدلة كثيرة على تحنف المحسن في كتبه ، نورد واحداً منها .

قال التنوخي في النشوار (٣/٥٢ - ٥٣ نشر الشالجي) : « حدثني عبد الله بن أحمد بن داسة . . . كان أبو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب أبي حنيفة . . . قال لي عبد الله بن داسة : إن أبا زهير هذا هو أستاذ أبي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب أصحابنا . وكان محمد بن عبدل أستاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل وما سمعت منه هذه الحكاية » .

فلو صح افتراضنا في أن هذا الكتاب للتنوخي المحسن فإن فيه أكثر من دليل يثبت ان التنوخي لم يكن على الإطلاق معتزليا إلا إذا اعتبرنا هذه الأخبار (وكلها في نهاية خلافة المعتصم) مقحمة في أصل النص وأنها كانت على الحاشية فأضافها الناسخ إلى الأصل ، ولما كانت هذه النسخة الوحيدة (هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم سقط من نسخة الجزائر) فإننا لا نستطيع أن نثبت أو ننفي أصالة هذه الأخبار (وهي خمسة أخبار تحتل صفحة من المخطوط) وإن كنت لا أشك في أن أكثر من واحد منها مقحم في النص :

١ - جاء في الورقة ١١٤ أ : « وكان المعتصم مع خلاله الحميدة وأفعاله السديدة قد أغواه الشيطان ، وقال بخلق القرآن ، تقليداً لغاوٍ أغواه ، وفاسق أثبته حتى استمل عليه واحتواه ، وحمل الناس عليه وندبهم بالسيف وضربهم بالسياط ، ليقولوا بهذا الخباط ، وبلغ به الجدّ في ذلك والاغتباط ، على أن يضرب الإمام أبا جعفر (كذا : وهو أبو عبد الله) أحمد بن حنبل ، فأحضره في شهر رمضان وضربه نحو ثلاثين [سوطاً] وهو عريان فمالت عنقه ، فظنوا أنه قد ذهب رمقه ، فتركه وطرحت عليه ثيابه ، وسبب الله له السلامة انسباب (كذا) وعصم الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من اتباعه على الضلال ، وقوله بهذا المقال » ، فإن في هذا النص تكلفاً لغوياً وحماسة مذهبية حنبلية ظاهرة ، والتنوخي بعيد عن مثل هذا التكلف والتعصب.

٢ - وفي الورقة نفسها جاء : « قال أبو شعيب الحرّاني : كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم ، وأحمد بن حنبل يضرب ، فجعل أبو عبيد يقول : أيضرب سيدنا الأمير ، أيضرب سيدنا الأمير ، فقال أبو شعيب :

ضربوا ابنَ حنبل بالسياط بجهلهمْ ... بغياً فثبت بالثبات الأنورِ
قال الموفق حين مدّ بينهم ... مدّ الأديم على الصعيد القرقرِ
إني أموت ولا أبوء بفجره ... تصلى بوائقها محل المفتري

٣ - وفي الورقة نفسها وردت حكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل وقد دخل على أبيه فأشهده على عفوه عن المعتصم فقال : « وإني أشهدك أني جعلت المعتصم في حلّ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ وفي الورقة نفسها ب : وردت حكاية أحد أصحاب أحمد بن حنبل حين رآه في النوم فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وحباني وقال لي : يا أبا عبدالله إنما أعطيتك لأنك قلت القرآن غير مخلوق » .

٥ ـ وفي الورقة نفسها : وردت الحكاية الأخيرة : « وروى عن علي ابن الموفق قال : حدثني أبو عمرو النمار قال: كان لنا جار مجوسي يقال له بهرام فمات فرأيته في أقبح صورة فقلت : بهرام ! فقال بصوت ضعيف: نعم بهرام يا أبا عامر ، فقلت له : إلى أي شيء صرت ؟ فقال : إلى قعرها ، فقلت: أيجبكم أحد ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون : القرآن مخلوق » .

وفي خلافة الواثق بالله أورد مؤلف الكتاب خبرين أحدهما عن المسعودي وكلاهما في الرد على من قال بخلق القرآن :

١ ـ قال عبادة المخنث : دخلت على الواثق أمير المؤمنين والناسُ يمتحنون، بعضهم بضربٍ ،وبعضهم بقتل، وبعضهم بحبس ،قال عبادة : . . . فقلت : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ،فقال لي : ويحك في من ؟ قلت : يامولاي في القرآن ، فقال لي : والقرآن يموت ؟ فقلت : يامولاي أليس كل مخلوق يموت ؟ فإذا مات القرآن في شعبان بِمَ تصلي في الناس في رمضان ؟ فقال : أخرجوه . وقيل : إنه رجع عن القول بخلق القرآن من ذلك اليوم .

٢ ـ الحكاية التي رواها المسعودي في مروجه (٨/٢٢ - ٢٧) وهي حكاية الشيخ الذي قدم على الواثق من أدنة ، وما جرى له مع أحمد بن أبي دؤاد (ورقة ١١٥أ وما بعدها) . وأعاد ذكر هذه الحكاية في خلافة المهتدي محمد بن الواثق بالله (ورقة ١٣٥ ب) حين همّ صالح بن علي الهاشمي أن يسأله فقال المهتدي : « كأني بك وقد استحسنت مارأيت من مجلسنا؟ فقلت : أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن . . . فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخٌ طوال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حسن السيلة من أهل الفقه والحديث من أهل أدنة . . . فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة ، ورجع الواثق عنها » .

فنحن بين أمرين لا ثالث لهما ، إما أن نقبل افتراضنا في أن هذا الكتاب هو من تصنيف المحسن التنوخي فيتعين عندنا أنه لم يكن معتزلياً وإن عدّه ابن المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ) وعدّ أباه من المعتزلة ، لأن ابن المرتضى عدّ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة والإمام الشافعي ودعبل الخزاعي في من عدّ من القائلين بالعدل ، وكلٌّ واحد من هؤلاء له مشربه المعروف به ، ثم قال في ترجمة دعبل الخزاعي : « ونظراؤه من فحول الشعراء من القائلين بالعدل أكثر من أن يُحصَوْا ، كالكميت في المتقدمين ، وعلي بن محمد التنوخي وابنه وغيرهم » (طبقات المعتزلة ١٣٢) فقد عدّهم في الشعراء ، والشعر أقلّ شيء عرفوا به ، هذا إذا قلنا : إنه أراد بهذين الاسمين المحسّن وأباه .

والأمر الثاني : أو أن نرفض نسبة هذا الكتاب له ، وهنا يتعين علينا أن نجد تفسيراً معقولاً للأدلة التي أوردتها في نسبة الكتاب له ، وهي أقوى من دفعه عنه .

إضافةً إلى كل ماذكرت من الأدلة فإن هناك إشارتين وردتا في الكتاب:

الأولى : في كلامه على الوزير أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي قال : « وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب » ، ورقة ٥١ ب.

الثانية : في خلافة المقتدر ، ورقة ١٥٧ ب ورد ما يأتي : « وفي سنة أربعة عشر وثلاثمائة عزل المقتدرُ أحمدَ بن إسحاق بن البهلول القاضي وكان على قضاء مدينة المنصور أحمد بن سهل الأشناني ثم ندم على ذلك ، فأنفذ بقهارمته مهلة وأم موسى وغيرهما ،يأمره بالرجوع إلى القضاء فقال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد كبر سني وفي رقبتي علمٌ أحبّ أخرجه إلى الناس وإلقاؤه إليهم ، وأنا أسأل أمير المؤمنين إعفائي منه ، ثم أخرج رقعة من تحت وسادته فقرأها عليهن وأنفذها مع الذي كتبه من المسألة له في الإعفاء عن القضاء وفيها :

تركت القضاء لأهل القضاء وأقبلت اسموا إلى الآخرة
فإن يك فخراً يعيد الثناء فقد نلت منه يداً فاخرة
وإن يك وزراً فأبعدْ به فلا خير في نعمة وازرة »

لقد نقلت هذا النص بما فيه من أخطاء بأنواعها ، فإن المشهور عند أصحاب التراجم أن القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول صرف عن القضاء بمدينة المنصور سنة ست عشرة وثلاث مائة بأبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن الأشناني الذي عزل بعد ثلاثة أيام من توليه القضاء[١٠] ، وأن أحمد ابن سهل الأشناني لم يكن قاضياً وإنما كان أحد القراء المجوّدين كما يقول الخطيب (٤/١٨٥) ، فلا بد أن شيئاً سقط من النص وهذا ظاهر بيّن ، لأن أحمد بن إسحاق بن البهلول هو الذي كان قاضياً على مدينة المنصور ، ولأن أحمد بن سهل الأشناني كان قد توفي سنة ٣٠٧ هـ وقبل أن يعزل ابن البهلول ، فلعل الساقط من النص كان : . . . قضاء مدينة المنصور [بأبي الحسين عمر بن الحسن الأشناني وهو صهر ، ختن] أحمد بن سهل الأشناني ، أو شيء من هذا حتى يستقيم النص تاريخياً في الأقل . وقد رويت حكاية هذا العزل في مصادر عديدة كتاريخ بغداد ، والمنتظم ومعجم الأدباء ، وكلها روت الحكاية عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد ، وأضاف ياقوت أن ابن عبد الرحيم التنوخي سمع الحكاية من أبي القاسم علي التنوخي وكان له بأمره (أحمد بن إسحاق ابن البهلول) الخبرة التامة لما يجمعها من النسب في الصناعة (معجم الأدباء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١/٩٢) . أما الخطأ في تاريخ العزل فلعله خطأ من الناسخ .

أوردت هذه الحكاية لأنها الحكاية الوحيدة في المخطوط تذكر شيئاً عن قاضٍ عباسي ، وأهمية هذه الحكاية تأتي من أن ابن البهلول يتصل بالنسب مع التنوخيين .

أما محمد بن عبدالوهاب الكاتب فلم أعثر على ذكر له في ما لديّ من مصادر ، فلعل أحداً من الإخوة القراء له علم به ، فإن فوق كل ذي علم عليم .

وبعد ، ألا يحق لنا أن نقول : إن أبا علي المحسن بن علي التنوخي صنف كتاباً في التأريخ ؟ .

الدكتور قاسم السامرائي
لايدن — هولندا .

التعليقـــات

(١) منه نسخة في مكتبة بودليان باكسفورد ، ذكر هذا بروكلمان في الملحق ١/٢٥٣ ، رقم ٤

(٢) من هؤلاء : رشدي فكار كتب رسالة جامعية عن التنوخي وكتاب الفرج بعد الشدة ، وبدري محمد فهد كتب كتاب القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، وشكري فيصل كتب مقالاً طريفاً عن النشوار ورحلته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقبله كتب أحمد تيمور عن ألفاظ النشوار في المجلة نفسها ، وكتب المستشرق الألماني فيتر عن أدب الفرج بعد الشدة في مجلة در إسلام الألمانية ، وباريت في الموسوعة الإسلامية وغير هؤلاء . وانظر كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ملحق ١/٢٥٢ — ٢٥٣ عمن كتب عن التنوخي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم ● صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ذكر بني العباس وسبب ظهورهم

قال اكتم بصوجب مرة فرأيت عند الكلبي كانهم بروج
فضة وكان عما يعلم الريبة وكان العباس رضي الله عنه من بينهم كمعة
البدر بسالت عنهم فقيل لي هؤلاء بنو عبد المطلب فقلت ان الله اذا اراد ان
يبني دولة اتى لها مثل هؤلاء هذا غير الله خير البشر وجع فسر بي
ساعة فراهم فقال والله ليكونن لهؤلاء شرف عظيم وامر جسيم
وكان العباس رضي الله عنه وكنيته ابو الفضل كثير الرئاسة
في الجاهلية وكان يقوم بالسقاية والرفادة في الجاهلية فاقره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك في الاسلام وكان له عمارة المسجد الحرام
ولا يعاب بهجرا فكان يحملهم على عمارته في الخير يشجعون لذلك
اشتاعا ان ما قريش اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له اعوانا
عليه وسلموا ذلك اليه وكان رضي الله عنه مراوحا بين الناس حضرا واجمع
اخلافا واحلمهم وكان له بيت لعارية فرس وحجة تجاههم وسلسلة
لعاصيهم وجاء اله سلام وهو كذلك فقال عمر رضي الله عنه
هذا والله هو الشرف يكظم الجامع ويكسي العار ويوذي الجاهل
وفيه وفي جنته وكسوته وسلسلته نزل ابن هر

نموذج الصفحة الأولى من كتاب « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم »

انظر وصف المخطوطة في ص ٥٢٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) نشر صديقي شورد فان كوننكزفلد فهرساً لطيفاً لهذه المجموعة مع وصف مقتضب لها في مجلة :

Bibliotheca Orientalis , Sept - Nov . 1973 , No : 5 - 6 , PP . 370 - 385

Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten , Leiden — Holland .

(٤) وفيات الأعيان ، نشر وستنفلد ، رقم الترجمة : ٤١٦ ، وحكاية عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن والحادي لم ترد في مخطوطة الوفيات المحفوظة في لايدن برقم ١٥٩١ شرقي* ، ورقة ٤٨٤ ، ولا في تلك التي نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله بالقاهرة ١٩٤٨ ، ٢/٣٩٤ — ٣٩٥ ، لكنها وردت عند الثعالبي في كتابه : ثمار القلوب ١٩٨ — ١٩٩ ، ٣٥٩

(٥) النجوم الزاهرة ٢/٢١٨ ، المنتظم ٨/١٦٨

(٦) تاريخ بغداد ٤/١٥٣

(٧) لسان الميزان ٤/٢٥٢ — ٢٥٣

(٨) أما في النشوار ١/٢٧٠ ، فهناك ثلاث حكايات ولعله أراد التي فيها : أخبرني غير واحد من أصحابنا ... أو قوله الآخر : سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة ... إذ ليس في هذين القولين دليل على اعتزاليته ، فكم روى عن متكلم شيعي أو حنبلي أو متزندق أو شاعر أو أمير أو وزير فإن قوله : سمعت جماعة من أصحابنا لا يعني إطلاقا : من أصحابنا المعتزلة .

(٩) وقد ذكر التنوخي حكاية الهبيري في النشوار (١/٢١١ — ٢١٤) إلا أنه ذكر أن الوزير كان ابن أبي خالد الأحول ، ولم يذكر في الحكاية ماسبق أن نقلناه من كتاب الفرج المخطوط ، بيد أن قصد القصة واحد في الحكايتين .

(١٠) تاريخ بغداد ١/٢٧٨ ، ٤/٣١ ، ١١/٢٣٧ ، المنتظم ٢/١٤٦ ، ١٦٦ ، ٢٣٢ ، معجم الأدباء ١/٨٢ — ٩٤ ، وكيع ٢٨٥ ، مروج الذهب ٤/٣١٠ ، الجواهر المضية ١/٥٧ — ٥٩

(*) وردت الحكاية في نشرة الدكتور إحسان عباس للوفيات ج ٣ ص ٢٣٠ ومابعدها . وانظر تعليق الاستاذ المحقق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net